

تمهيد: الظاهرة وخطورتها

تزايدت في الآونة الأخيرة على مستوى العالم العربي حدة أعمال العنف والإرهاب، الناتجة عن ظاهرة التطرف الديني، التي بدأ ظهورها في المجتمع المصري مع مطلع السبعينات. ومن الواضح أنها أصبحت تمثل مشكلة خطيرة، لم تعد تقتصر فقط على إحداث الاضطراب والذعر في الشارع المصري، وإنما امتدت آثارها إلى حركة الاقتصاد والسياسة، وصارت تهدد الأمن القومي، وتحظى باهتمام عالمي ينعكس بالسلب على سياسة مصر الخارجية، ويشوه الصورة المسالمة للمسلمين.

ولبيان مدى خطورة المشكلة، تكفي الإشارة هنا إلى أبرز أعمالها بدءاً من حادث "الفنية العسكرية"، ثم مقتل السادات، والهجوم المسلح على مديرية أمن أسيوط، ونهب محلات الذهب، وضرب السياحة في مقتل، ومحاولات اغتيال وزراء الداخلية والإعلام ورئيس مجلس الشعب، بالإضافة إلى استهداف كبار ضباط الجيش والشرطة. وكانت محصلة القتلى خلال السبعينات (٥٥) فرداً، وفي الثمانينات (١١٤) وفي السنوات القليلة الماضية من التسعينات (٣٦٠)^(١).

وعلى الرغم من تصدى وزارة الداخلية الصارم للإرهاب، فإن الظاهرة التي تقف خلفه لم تنل قائمة ومستمرة، ولا يبدو أنها تتراجع، بل دليل أنها مازالت قادرة على توجيه عناصرها الإرهابية لضرب مواقع حيوية، أو اغتيال شخصيات مسئولة ابتداء من صعيد مصر وحتى القاهرة. وهذا يعني أن لها قيادات، وأن هذا القيادات ذات تأثير قوى على أتباعها، وأن لديها مخططات محددة، تنفذ مراحلها بأسلوب الفعل ورد الفعل.

ولاشك أن التصدي للإرهاب يكلف الدولة الكثير جداً من الوقت، والجهد، والمال. كما أنه يصرف اهتمامها عن معالجة المشكلات العاجلة للشعب، مما يسبب اضطراباً في الأداء، ينتج عنه تذمر في الطبقات الشعبية بالداخل، وشيوع عدم الاستقرار في الخارج. وتلك هي بالتحديد نفس الأهداف التي

يسعى إليها مخططو الإرهاب، لخلخلة النظام الحالى، بقصد إثبات فشله حتى يصبح الطريق خاليا أمامهم للوصول إلى الحكم.

ومن أخطر ما يتسلح به هؤلاء: قناع الدين، الذى يخدعون به أتباعهم من الشباب، بحيث يحولونهم - عن طريق التعصب الأعمى والطاعة المطلقة - إلى دمية يسهل تحريكها فى كل اتجاه، أو قنابل موقوته يمكن تفجيرها فى أى موقع.

وانطلاقاً من فهم خاص جداً للدين، وتصور محدود وقاصر للواقع، اتخذت هذه الجماعات المتطرفة موقفاً معادياً للمجتمع الذى تعيش فيه: فرفضت أنظمتها، واتهمت معتقداتها، وأدانت تصرفاتها، وبالجملة فقد حاكمتها وحكمت عليه بالفسق، والكفر، وكلا الأمرين يستلزم مقاطعته بل محاربته^(٢) وبهذا لم يخسر المجتمع فقط عدداً من أبنائه، وإنما أصبح يتعرض لأذاهم، ويشغل نفسه بمقاومتهم.

ومن الملاحظ أن ظاهرة التطرف الدينى لم تعد تقتصر على بلد عربى واحد، بل إنها أخذت تنتشر فى كافة أنحاء الوطن العربى. فهى موجودة فى مصر، وقوية جداً فى الجزائر، ورموزها وصلت إلى السلطة فى السودان، بل إن السعودية قد تعرضت لها فى حركة اقتحام الحرم المكى، كما أنها متواجدة بكثافة فى الكويت والبحرين (وقد شاهدها بنفسى (١٩٨٥-١٩٩١) تنتشر بين شباب قطر، على الرغم من مستوياتهم المادية المرتفعة جداً)^(٣).